تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في جامع العادلية بحلب بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٢٨م

نعيش هذه الأيام ذكرى جليلة، هي ذكرى ميلاد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، والتي هي آيةٌ من آيات الله تجلت فيها عظمته وظهرت قدرته، فكانت آيةً دالَّةً على وحدانية الله، وعلى أنه الله الذي لا إله إلا هو.

ميلاد عيسى عليه الصلاة والسلام هو ميلاد مَنْ بشَّر بسيدنا محمد، فهو الذي بشَّر بنبيٍّ يأتي من بعده اسمه أحمد.

ميلاد عيسى عليه الصلاة والسلام هو ميلاد حاكِمٍ آخر الزمان، الذي يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، معلنًا تبعيتَه لسيدنا رسول الله.

ميلاد عيسى عليه الصلاة والسلام هو ميلاد الذي سينـــزل في آخر الزمان ليقتل الدجالين الذين يقفون خلف المسيح الدجال، الذين يتصهينون أكثر من الصهيونيين، ويتهوَّدون أكثر من اليهود، وجندُ الدجال كما أخبر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم هم اليهود.

ميلاد عيسى عليه الصلاة والسلام ميلادُ نبيٍّ رسولٍ عبدٍ لله، جاء يوحِّد الله ويدعو البشرية إلى وحدانيته، فهو أجدرُ بنا نحن، ونحن الأمة الموحِّدة التي تجد أنها تملك من التناسب مع عيسى عليه الصلاة والسلام وميلاده ما لا يملكه أحد في العالم، فالمسيح موحِّد ونحن أمة موحدة، والمسيح ساجد لله وراكع، ونحن أمة ساجدة لله تعالى وراكعة.

المسيح كان نموذجًا من نماذج الأخلاق الفريدة، ونحن أمة بُعثَ نبيُّها ليتمِّم مكارم الأخلاق.

إنها مناسبة يحقُّ للمسلمين أن يغتنموها فرصةً لخطابٍ واقعيّ، ليس فيه كذبٌ ولا نفاق ولا مجاملة، بمقدار ما فيه من الوقوف مع الحقيقة، ومن الدعوة إلى الله، فالله سبحانه وتعالى الذي أنـــزل التوراة وأنـــزل بعدها الإنجيل، أنـــزل إلى البشرية كافَّةً القرآنَ الذي هو التوراة والإنجيل.

نعم، فمن أسماء القرآن التوراةُ والإنجيل.

لماذا؟ لأن القرآن نـــزل ليقول لأهل الإنجيل: أنا الإنجيل، وليقول لأهل التوراة: أنا التوراة، فهو قرآنٌ ليقرأه الجميع، وهو إنجيلٌ ليقرأه من يريد النسبة إلى الإنجيل، وهو توراةٌ ليقرأه من ينتسب إلى التوراة.

هذه الدعوة هي الدعوة المطابقة للحقيقة المنطلقةِ من أرض اليقين، التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن خلالها دعا رسول الله صلى اله عليه وسلم المقوقسَ المسيحيّ، والنجاشيَّ المسيحيّ، وقيصرَ المسيحيّ، ودعا يهود خيبر، ودعا يهود المدينة...

إنها الدعوة التي لا تُكرِه مسيحيًّا على الدخول في الإسلام ولا تعاديه، ولا تُكره يهوديًّا على الدخول في الإسلام ولا تعاديه، ولكنها تصحح المفهومات، وتقول للجميع: الرسالة الخاتمة هي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن هو كتاب هذه الرسالة.

هذه الدعوة هي إنقاذٌ في الحقيقة لمسيحيةٍ تترنَّح.

ما الذي بقي من المسيحية في العالم؟

أتظنون أن النسبة تبلغ ١٠% في بلدان أوربا؟

هناك بلدان لا تصل نسبة التديُّن فيها إلى ٢% أو ٣%.

إذًا، تحولوا إلى الإلحاد واللادينية، وإلى عبادة الشهوة والمصلحة، إنهم يحتاجون إلى منقذ.

فإذا نظرت في واقعِ ما بقي من الشرائح المتدينة رأيت تناقضاتٍ في العقيدة، فرأيت تثليثًا يتناقض في طرحه مع نفسه لأنه لا يتفق على رؤية واحدة، فأنت لا تجد رؤيةً تلتقي مع أخرى حتى في التثليث نفسه.

إذًا، مِنَ المحبة، ومن الدعوة التي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن ندعو إليها، نحن ندعو كلَّ الناس، ملحدين كانوا أو ممن ينتسب إلى الكتب السماوية السابقة، كما أننا بالدرجة الأولى ندعو أبناء أمة الإسلام الذين تخلفوا عن التمسك بإسلامهم.

وأختار من كتاب الله تبارك وتعالى نصًّا - والنصوص كثيرة - من النصوص التي تتحدث عن هذه القضية وفي هذه المناسبة من سورة آل عمران، يقول فيه الله سبحانه وتعالى الذي هو ربُّ المسيح وربُّ موسى وربُّ محمد عليهم الصلاة والسلام:

- {إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} والكلمة التي هي عيسى ما سميت كلمة إلا لأنها كانت ظاهرة ظهورًا تخفى معه الأسباب، فالله سبحانه وتعالى لا يخلق شيئًا من الأشياء إلا بكلمة: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢] لكنه ستر الكلمة بقانون الأسباب، ولم يستر كلمة "كن" التي أظهر فيها عيسى بالأسباب، فأوجده من غير أب، فسماه كلمةً لأنه أظهر في هذه الآية كلمته.

- {وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ} أما تعليم الله لعيسى التوراة والإنجيل فهو ظاهر، لكن ما معنى: {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}؟

اقرؤوا كتاب الله، ألم تكن دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام - حين وضع إسماعيلَ وأمَّه هاجر في ذلك الوادي الذي ليس فيه زرع - بأن قال: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [البقرة: ١٢٩]؟

فمحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي يعلم الكتاب والحكمة، والله سبحانه وتعالى علّم عيسى الكتاب والحكمة لأنه سينوب عن محمد صلى الله عليه وسلم في تعليم الكتاب والحكمة، فعلَّمه التوراة والإنجيل فخاطب اليهود وعلَّم الحواريين، لكنه سينـــزل وهو الأعلمُ في هذه الأمة والأفقهُ ليحكمَ هذه الأمة كما أخبر الصادق المصدوق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم انتقل من الأعم إلى الأخصِّ فقال:

- { وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ } أي أصوِّره، وخَلَقَ في اللغة معناها: صوّر، { فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ } فالأمر أمر الله، والإله هو الله، والرسول الذي يأتي بالمعجزة هو عيسى بن مريم.

- { وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ } الذي وُلد فلم يكن له عند الولادة إبصار، أي الأعمى منذ الولادة.

- { وَالأَبْرَصَ } ولا علاج للبرص.

- { وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ } فإنْ أذن لي ربي أُظهر المعجزة بإذنه، لأنني عبده.

- { وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ } أطلَعَني ربي على المُغيَّب المحسوس، فهو بالنسبة إليكم محسوسٌ، وبالنسبة لي غيبٌ فهو في بيوتكم، لكنني أخبركم عنه، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } .

- { وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ } فأنا أستوي معكم في العبودية لله، ولا أنسب نفسي إلى غير البشرية، فأنا عبد الله، وأنتم عباد الله، وأنا الدليل الذي أدلُّكم على الله، ولست إلهًا، لكنني رسولُ الله ونبيُّه.

- { إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ } لا تعبدوني.

- { هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } فمن كان على هذا فهو على الصراط المستقيم.

واليوم تعيش المسيحية حالة الظن، وأنا أتحدث من واقعٍ استكشافيٍّ استقرائيٍّ ولا أتجنى، وصِلاتي مع أبناء المسيحية تفوق كثيرًا بعضَ الذين يجاملون على حساب دينهم، وأقول لهم ما أقول لكم، لكن هذا لا يصرفني عن الإحسان والإكرام لهم، ولا عن أن أكون في أرقى درجات السلوك الإنسانيّ والخلقيّ والاحترام، لكننا أُمرنا بالدعوة.

وحين أتحدث باستقراء واستكشاف أقول: نحن نعيش حالة يقين، والمسيحية تعيش حالة الظن، وتعيش مع حالة الظن هذه حالةَ التعصب.

فهي تعاني من أمرين:

١ - **الظن:** وحينما يدخل أحدهم معك في حوارٍ يقف بعد خطوات ليقول: ينبغي أن نؤمن دون أن نفكر، فلا يمكن لنا أن نؤمن ونفكر، لأننا إذا فكرنا سنخرج من معتقداتنا، لأن معتقداتنا لا تتناسب مع منطق العقل.

إذًا، ما الحل؟

يقولون: حتى نبقى على ما نحن عليه لا بد من إغلاق منافذ العقل.

٢ - **التعصُّب:** وأصبح التعصبُ في مرحلة من مراحل تاريخنا ظاهرةً يُتباهى بها، وتدلُّ على أن صاحبها يملك من الشجاعة ومن التقرب إلى الله ما يملكه، واقرؤوا تاريخ الأندلس على سبيل المثال، حتى لقد كان بعض المتعصبين من أبناء المسيحية في الأندلس يدخلون إلى القاضي المسلم وفي ساحة المحكمة فيشتمون سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم، وهذه الحالة كانت في بداية الأمر تُلزم القاضي بالحكم عليه بالموت، ثم بعد ذلك اتُّخذت إجراءات تحول دون دخول أمثال هؤلاء حتى لا يُتَّهم الإسلام بقتل أبناء المسيحية في تلك البلاد.

وهذا واقع.

نحن لا نتقرب إلى الله بشتم أحد، بل أمرنا ربُّنا سبحانه وتعالى بالإحسان: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤] لكن هذه كانت ظاهرة.

وما حصل في صربيا والبوسنة ويوغسلافيا... لم يكن منبعثًا إلا من التعصب.

والتعصب وقوفٌ مع النفس والهوى، وتعطيلٌ للعقل، ونحن حينما نتحدث بهذا الكلام لا نتحدث إلا لأننا نحبُّ لأنفسنا ما نحبُّ لغيرنا، ونحبُّ لغيرنا ما نحبُّ لأنفسنا من الخير، أما أن نحبَّ لأنفسنا ما عليه غيرنا من غير الخير فلا.

- {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ} حين أعرضوا عن هذه الدعوة.

- {قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} وسمى الله سبحانه وتعالى أتباعَ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الشاهدين، لأنه قال: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: ١٤٣] فنحن الذين سمانا الله سبحانه وتعالى الشاهدين، لأننا نشهد للرسل حين يكذبهم أقوامهم.

والحواريون يتوجهون إلى الله بأن يُحشروا مع أتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

- {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}

- {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} ويتوفَّى هنا بمعنى: يُنيم، فقد أنامَه الله سبحانه رِفقًا به، لأنه سيرفعه إلى السماء: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} [الزمر: ٤٢]

وهذه قضيةٌ تُعيدنا إلى درجات الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، فقد رفع الله سيدنا محمدًا عليه الصلاة والسلام في معراجه يقظةً من غير نوم، ورفع سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وهو نائم، لكنه سوف يُعيده في اليقظة، فهو سيعود من السماء وقد تَبِع رسالة محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وأصبح مُهيَّئًا ليحكم أمة الإسلام، فلن ينـــزل نائمًا، بل سينـــزل يقظانًا.

- { وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } فأنت بينك وبين الذين حادوا عن هذا الصراط المستقيم حاجز، فأنت في جانب، ومَن لم يكن على هذا الصراط المستقيم الذي هو: {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} في جانبٍ آخر، فالذي لم يكن على هذا المنهج فأنا أطهِّرك منه حتى وإن نسبوا أنفسهم إليه، فأنت مُطهَّرٌ من تلك النسبة، لأن النسبة المقبولة هي نسبة التوحيد، أما غيرها فإنها لا تُقبل عند الله.

- { وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } أي الذين اتبعوك على هذا الصراط المستقيم يومَ أن كنت قبل أن تُرفع، وحين تنـــزل بعد ذلك من السماء.

- { ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ، وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ } وهنا توجّه الخطاب إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

- { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ } أي إن مثل عيسى من حيث وجوده من غير أب كمثل آدم.

- { خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } فلم يكن لآدم أب ولم يكن لعيسى أب، وهكذا كانت المماثلة من وجه واحد، وهو كون آدم وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يكن أحد منهما من أبٍ بشريّ.

- { الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } في النتيجة هذه هي الحقيقة من الله، ولا ينبغي أن تبحث بعد هذه الحقيقة عن أمر آخر، فهي آية ساطعة، برهانُها معها وفيها.

- { فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ } وبعد هذا، فمن جادلك وأراد أن يصرفك عن هذا الصراط المستقيم.

- { مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ } بعد هذه الحقيقة.

- { فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } وهذه آيةُ المباهلة.

حيث جاء نصارى نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي حياة النبي صلى الله عليه وسلم كلِّها، لم يجادل أحدٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كما جادله نصارى نجران، فلما صار الجدالُ عقيمًا نـــزلت آية المباهلة.

إذًا، ستقفون مع تعصُّبكم، فما الفيصل؟

المباهلة.

فالمباهلة كانت - كما علَّم الله رسولَه - من خلال دعوة، بحيث يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُخرِج آل بيته، فقال: تعالوا حتى نخرج إلى البيداء (إلى الصحراء)، أي رسول الله ومعه أهل بيته، وتعالوا واجلسوا مع أهليكم ومع أولادكم، ثم نتوجّه إلى الله حتى يُنـــزل عذابه على الكاذبين.

فخاف نصارى نجران، وهربوا من المباهلة.

إنها مجادلة طويلة، لو كانت تستند إلى اليقين لما خاف هؤلاء من المباهلة، وكانوا أعلمَ زمانهم بعقائد النصرانية يومَها، لكنهم هربوا من المباهلة، وقالوا: نحن على ديننا وأنت على دينك.

- { إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ، قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [آل عمران: ٤٥-٦٤].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضعها في رسائله وكتبه إلى ملوك المسيحية، فوضعها في رسالته إلى النجاشيّ والمقوقس وهرقل قيصر الروم، ولم يضعها في كتابه إلى كِسرى الذي كان مجوسيًّا.

اقرؤوا رسائل النبي صلى الله عليه وسلم لتفقهوا كيف كان صلى الله عليه وسلم يخاطب كلاً خطابًا يتناسب معه.

إن هذا الخطاب خطابٌ معرفيّ، ونحن حين ننقل ونتحدث بهذه اللغة القرآنية فلأن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن ننقل، وحين ندعو إلى التوحيد فلأن الله تعالى أمرنا بالدعوة إلى التوحيد، وحين نقول للعالَم: الرسولُ المقبول في آخر الزمان الذي هو الرسول إلى الناس كافة هو محمد صلى الله عليه وسلم وحده، فلأن الله أمرنا أن نقول ذلك.

هذا لا يعني أننا نُوجد طائفة، ولا أننا نوجد حاجزًا من العداوة أو البغضاء بيننا وبين أحد.

لا.. فنحن نُحسن إلى الجميع.

هذا خطابٌ معرفيٌّ يقول للآخر: ادخل إلى الإسلام فإن لك عند الله قبولاً، أما أحكام الدنيا فإنها أحكامُ تعاون، تصل إلى حد المصاهرة، وإلى حد الشراكة التجارية، وإلى حد الشراكة السياسية...

نعم، اقرؤوا السياسة الشرعية لتجدوا أن فقهَنا الإسلاميَّ لا يمانع أن يشترك مسيحيٌّ أو يهوديٌّ في الدولة الإسلامية.

اقرؤوا الفقه لتعلموا أن ديننا هو أوسع من أن تتخيلوه في سَعته وفي سماحته وفي رُقيّه الإنسانيّ.

نحن في الدنيا على كوكب الأرض، وعلينا أن نعيش معًا على كوكب الأرض، لكن يفصل بيننا ربُّنا في أرض المحشر.

نحن ندعوكم إن كنتم غير مسلمين، لا لأننا نوجد عداوة بيننا وبينكم، لكننا نشفق عليكم ونرحمكم وندعو لكم ونرجو لكم كل خير...

كان أولياء الله - كما قرأتُ في سِيَرهم - إذا اجتمعوا مع علماء النصارى يقول الوليُّ لعالِم النصارى: أسأل الله أن يُدخِلَك الجنة، فسأله بعضهم: كيف تدعو له هذا الدعاء وأنت تعلم أنه على دينٍ نُسِخ، وأنت تعلم أن الله لا يقبل إلا الإسلام؟

قال: نعم، إن الله لا يقبل إلا الإسلام، لكنني أدعو له بدخول الجنة، وثمة مُقدَّر في اللغة ولو لم أُصرِّح به، وهو: أسأل الله أن يُدخلك الإسلام حتى تدخل الجنة.

فكان يدعو له ويقول: أسأل الله لك الجنة.

لقد قال أهل المحبة:

دينُنـــــــا حــــــــبٌّ ووِدْ   ما لنـــا في الكـــون ضِـــدْ

نصــــفحُ اليــــومَ لِغَـــدْ   كــــــــأبٍ لوَلَـــــــــدِ

هذا مسلكنا، وهذه أخلاقنا، لكنَّ واجب التعريف يدعوننا في مثل هذه المناسبة، مناسبة ميلاد عيسى رسول الله عليه الصلاة والسلام، أن نغتنمها فرصةً لنكون من خلالها أصحابَ دعوةٍ، تُنفِّذُ ما أراد الله سبحانه وتعالى أن ندعو إليه.

لا نقبل أن يقف رأس المسيحية في الفاتيكان ليصف ديننا بأنه دين دمويّ، ولا نقبل أن يُقال: إن هذا كان مجرد نقل.

وعلى كلٍّ، فالمقصود في النتيجة أن نتوجّه إلى الحقيقة، وأن نعلم أن الدعوة ليست دعوة العرب ولا دعوة العجم، إنما هي دعوة الله إلى الإنسانية كافة.

وأنا أسمع من المحطات الفضائية في ليلة الميلاد، استوقفني خطابٌ لأحد كبار مطارنة لبنان، يقول فيه: لماذا لا تُنشئون لنا في مكة كنيسة؟

ونحن نقبل هذا الطرح إن كان للحوار، ونقول: النسخة الأخيرة للمعبد هي المسجد.

أن تدخلوا مكة هي قضية خلافية، فقد قال الإمام أبو حنيفة: "لليهوديّ والمسيحيّ أن يدخل مكة"، أما لماذا الكنيسة؟!

تريدون أن تعبدوا الله، فعبادة الله في المسجد، وعبادة الله بالقرآن، وباتِّباع محمد عليه الصلاة والسلام، فإن أردتم بقاءكم على ما أنتم عليه فهذا شأنكم.

نحن لا نُخرِّب كنيسة، لكننا في نفس الوقت نقول: إن هذا الطرح لا يدل إلا على تعصب، وعلى رغبة في تكثير باطل.

إذا كنتم تعبدون الله، فالله هو الذي أنـــزل التوراة والإنجيل والقرآن، وقال: إن القرآن هو الجامع للكتب السماوية، فإذا كنتم تريدون أن تقرؤوا كتاب الله فاقرؤوه، فهذا هو كتاب الله.

إذًا، نحن في هذا الوقت بحاجة لمثل هذا الطرح، لأن الآخَر بدأ يتطرَّف في طرحه، وبدأ يتكلّم بما لا يتفق مع منهج الحقيقة.

لا تقولوا: الحقيقة تتعدّد.

لا.. فميزان الحقيقة واضح.

نحن نقبل بالدلائل ونقبل بالحوار ونقبل بكل ما يمكن أن يكون ميزانًا، لكن بشرط ألا تغلقوا العقل، وتوقفوا عقل الإنسان عند حاجز، وبشرط ألا تقولوا: أطفئ سراج عقلك.

رُدّنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

تستمعون إلى هذه الخطبة - للمشاركة والتعليق عليها - في موقع البدر على الإنترنت:

www.albadr.org